

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

في مسجد بيت الفتوح بلندن يوم 2019/6/21م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. آمين.

كنتُ أتحدث في الخطبة الماضية عن سيدنا زيد بن حارثة، وكان الحديث قد تطرق إلى السيدة زينب بنت جحش التي تزوجها النبي ﷺ لاحقاً. وقلت أيضاً أن هناك أموراً سوف أتناولها فيما بعد.

كان عمر السيدة زينب بنت جحش عند زواجها من النبي ﷺ حوالي 35 عاماً، وهو سن الكهولة أو السن الكبيرة بحسب ظروف الجزيرة العربية.

كانت زينب جدّ صالحه نقيه وسخية، وكانت هي الوحيدة بين نساء النبي ﷺ التي كانت تنافس السيدة عائشة- وقد تحدثت عن ذلك من قبل قليلاً- ومع ذلك كانت السيدة عائشة تشني على زينب كثيراً بسبب محاسنها وورعها وتقواها، وكانت كثيراً ما تقول لم أر امرأة أكثر صلاحاً وورعاً من زينب، إذ كانت صادقة القول، وواصلة للرحم وكثيرة الصدقات وشديدة الحماس في أعمال البر والخير وقرب الله تعالى، غير أنها كانت سريعة الغضب، ومع ذلك كانت سريعة الندم أيضاً بعد الغضب. وتروي السيدة عائشة عن سبق زينب في أعمال البر والصدقة وتقول: قال النبي ﷺ مرة لزوجاته: إن أسرعكن لحاقاً بي (أي بعد وفاتي) أطولكن يداً. وتقول عائشة: فظننا أن النبي ﷺ يشير إلى الطول الظاهري لأيدينا، لكن توفيت زينب بنت جحش قبلنا بعد وفاة النبي ﷺ، فعلمنا أن طول اليد كان يعني البر والصدقة، وليس الطول الظاهري لليد.

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد: وكما كان متوقعا فإن المنافقين أثاروا كثيرا من الاعتراضات عند زواج النبي ﷺ من السيدة زينب، وقالوا علنا طاعنين بأن محمداً (ﷺ) قد تزوج من طليقة متبناه، وكأنه قد أحل له زوجة ابنه. فما دام هذا الزواج كان يستهدف القضاء على عادة العرب الجاهلية تلك فكان لا بد من التعرض لهذه المطاعن أيضا.

ولا بد من أن نذكر هنا أن ابن سعد والطبري وغيرهما قد أوردوا بصدد زواج زينب من النبي ﷺ رواية باطلة لا أساس لها، وهذه الرواية تتيح فرصة الطعن في شخص النبي ﷺ، ولذلك قد ذكرها المؤرخون المسيحيون في كتبهم بشكل بشع لا يحتمل. وهذه الرواية هي أن النبي ﷺ ذهب مرة إلى بيت زيد بختاً عنه بعد زواجه من زينب بنت جحش، ومن المصادفات أن زيدا لم يكن بالبيت، فلما ناداه النبي ﷺ من خارج الباب قالت زينب من الداخل إنه ليس بالبيت، ولأنها كانت قد عرفت صوت النبي ﷺ فأسرعت إلى الباب فوراً وقالت: فدى لك أبي وأمي يا رسول الله، تفضل بالداخل، ولكن النبي ﷺ رفض الدخول ورجع.

وبتابع راوي هذه الرواية أن زينب لما قامت مسرعة إلى الباب في عجلة لم يكن الخمار عليها وكان الباب مفتوحا، فوقع عليها نظر النبي ﷺ، فتأثر من جمالها - والعياذ بالله - ورجع وهو يردد: سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب. ولما رجع زيد بن حارثة إلى البيت حكى له زينب قصة مجيء النبي ﷺ، فسألها زيد فماذا قال النبي ﷺ قالت رجعت وهو يردد هذه الكلمات، وكنت دعوته إلى الداخل ولكنه رفض ورجع. فلما سمع زيد ذلك حضر إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله لعلك قد أعجبتك زينب، ولو شئت طلقتها لكي تتزوجها بعد ذلك. فقال النبي ﷺ اتق الله ولا تطلقها.

ثم يقول الراوي أن زيدا طلق زينب بعد ذلك.

هذه هي الرواية التي قد نقلها ابن سعد والطبري وغيرهما بهذا الصدد، ومع أنه يمكن شرحها بما لا يكون مثارا للاعتراض مطلقا، ولكن الحقيقة أن هذه الرواية وهذه القصة باطلة تماما رواية ودراية. أما رواية فيكفي أن نعلم أن هذه الرواية قد وردت عموما بواسطة الواقدي وعبد الله بن عامر الأسلمي، وكلاهما من ضعفاء الرواة غير الموثوق بهم مطلقا حتى إن الواقدي شهير بكذبه وتلفيقه بحيث لا يوجد له نظير في الكذب والتلفيق بين الرواة المسلمين.

وعلى النقيض فإن الرواية التي ذكرها حضرة مرزا بشير أحمد يقول عنها: إن الرواية التي اخترناها ورد فيها أن زيدا جاء النبي ﷺ يشكو إليه سوء معاملة زينب معه. وقد ذكرت هذه الرواية في الخطبة المنصرمة حيث قال النبي ﷺ لزيد اتق الله وأمسك عليك زوجك ولا تطلقها. وهذه الرواية وردت في صحيح البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله عند الأصدقاء والأعداء جميعا فيما يتعلق بذكر التاريخ الإسلامي الصحيح، ولا أحد يجرؤ على الطعن فيما ورد فيه؛ أي البخاري. فمن حيث أصول الرواية إن قيمة هاتين الروايتين واضحة وبينية وكذلك لو تأملنا منطقيا لا يبقى شك في كون رواية ابن سعد وغيره خاطئة؛ لأنه من المسلم به أن زينب كانت ابنة عمه النبي ﷺ حتى إن النبي ﷺ نفسه زوّجها من زيد بصفته وليها، ومن ناحية أخرى لا يمكن الإنكار بأن النساء المسلمات لم تكن تتحجبن إلى ذلك الحين، بل نزلت الأوامر الأولى عن الحجاب بعد زواج النبي ﷺ من زينب، ففي هذه الحالة الظن بأن النبي ﷺ لم يكن رأى زينب من قبل ووقع نظره عليها صدفة في ذلك الوقت فشغفته حبا إنما هو كذب صريح وبديهي البطلان ولا حقيقة لذلك أكثر من ذلك، لا شك أنه ﷺ يكون قد رأى زينب من قبل آلاف المرات وكان يعرف حسننها وقبحها، ولا فرق فيما إذا كان رآها في الخمار أو بدون خمار، لأنه ما دامت قريته ولم تكن هناك عادة الحجاب ولا حُكمه وكان يحدث اللقاء كل حين فمن الأغلب أنه ﷺ يكون قد رآها بغير الخمار أيضا، وقول زينب للنبي ﷺ بأن يدخل البيت يُظهر أنها كانت ترتدي ثيابا كافية حتى تمثل أمام النبي ﷺ. فمن أي جهة رأينا وجدنا أن هذه القصة باطلة ومخترة لا حقيقة لها بتاتا. ومع هذه الأدلة لو وضعنا أمامنا حياة النبي ﷺ المتصفة بكمال الطهارة والزهد اللذين كانا ظاهرين في جميع أعماله فلا تبقى أي مصداقية لهذه الرواية الواهية والتافهة، ولذلك قال المحققون عن هذه القصة أنها باطلة وافتراء محض. مثلا قال العلامة ابن حجر في فتح الباري والعلامة ابن كثير في تفسيره والعلامة الرزقاني في شرح المواهب بكل وضوح أن هذه الرواية باطلة ورأوا حتى ذكرها منافيا للصدق. وهذا هو حال الباحثين الآخرين. وليس الباحثون فقط بل كل من لم يجعله التعصب أعمى سيفضل على هذه القصة الزائفة البيان الذي كتبه مرزا بشير أحمد ﷺ وهو مبني على القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، وقد اخترع هذه القصة بعض المنافقين ورووه وسجلها المؤرخون المسلمون

في كتبهم بلا تحقي، لأن عملهم كان مقتصرًا على جمع كل نوع من الروايات. ثم أخذ منها المؤرخون غير المسلمين وزيّتوا بها كتبهم بسبب تعصبهم الديني.

لا بد أن نتذكر في صدد هذه القصة المخترعة أن مرزا بشير أحمد رحمته الله كتب في كتابه "سيرة خاتم النبيين عليه السلام" أن هذا الزمن الذي نُسب إليه هذه القصة كان ذلك الزمن في تاريخ الإسلام الذي كان المنافقون فيه نشيطين جدا وبدأوا بمؤامرة بصورة منظمة تحت قيادة عبد الله بن أبي بن سلول لكي يشوّهوا سمعة الإسلام ومؤسس الإسلام عليه السلام وكان طريقهم أنهم كانوا يخترعون قصصًا كاذبة وينشرونها سرا، أو كان يحدث شيء لا غبار عليه إلا أنهم كانوا يذكرونه بصيغة أخرى مختلفة بإضافة مئات الأنواع من الكذب إليه، ثم كانوا ينشرونه خفية. فلأجل ذلك ورد ذكر منافقي المدينة خاصة في سورة الأحزاب مع ذكر زواج زينب من النبي عليه السلام، فلقد أشار الله تعالى إلى مكائدهم الشريرة هذه فقال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب 61) أي إن لم يتوقف هؤلاء الذين ينشرون الأخبار الكاذبة والمثيرة للفتن من أفاعيلهم هذه فسناؤن للنبي عليه السلام باتخاذ الإجراءات ضدهم وبالتالي فلن يبقوا في المدينة إلا قليلا.

لقد أشير في هذه الآية بشكل صريح إلى بطلان هذه القصة.

ثم ذكر لاحقًا في هذه السورة عن الواقعة الخطيرة التي حدثت في تلك الفترة نفسها أي واقعة الإفك ضد عائشة رضي الله عنها، أشاع عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الخونة هذا الافتراء بين المسلمين لدرجة أن بعض ضعاف المسلمين والبسطاء صاروا ضحية هذه الدعاية القذرة.

باختصار كان ذلك الزمن هو زمن شدة المنافقين وكان شغلهم الشاغل آنذاك هو نشر الأباطيل والأخبار القذرة ضد النبي عليه السلام و ضد من كانوا على علاقة معه، وكانت مثل هذه الأخبار تُشاع بحذر شديد بحيث لم تكن تتاح للنبي عليه السلام وصحابته أحيانًا فرصة الرد عليها لعدم علمهم بها بشكل تفصيلي، وبالتالي كانت هذه السموم تنتشر بشكل خفي. وفي هذه الحالة أصبح بعض المسلمين -الذين لم يكونوا معتادين على التدقيق والفحص كثيرًا- ينقلون تلك الروايات ظنًا منهم أنها صادقة وحقيقية. ولقد اشتهرت مثل هذه الروايات عند مجموعة من المسلمين أمثال الواقدي وغيره، ولكن كما ذكر أنه ليس لها أثر في الصحاح، كما لم يقبلها المحققون.

لقد قبل السير وليام ميور رواية الواقدي الملفقة والباطلة بخصوص قصة زينب بنت جحش -مع أنه كان يتوقع منه أن يفكر بشكل أفضل- وإضافة إلى ذلك وجه طعنًا شنيعًا إلى النبي ﷺ حيث قال بأنه مع ازدياد عمره ظلت أهواؤه النفسية أيضا تزداد وتتفاقم. والعياذ بالله. (كان هو معترضًا ويتوقع منه أن يسيء، ولكنه إن وجد عند المسلمين مثل تلك الرواية فلا بد أنه يجد فرصة أكبر للطعن) ويعتبر وليام ميور التوسع والازدياد في عدد زوجات الرسول ﷺ نابعًا عن هذه العاطفة المذكورة نفسها، أي أنها كانت ناتجة عن ازدياد أهوائه النفسية. والعياذ بالله.

كتب مرزا بشير أحمد وقال بأنني أذكر هذا الأمر بصفتي مؤرخًا دون الخوض في النقاشات الدينية، ولكن لا بد من القول بأنه إذا استنتج أحد بعد تناوله الوقائع التاريخية بمنهج خاطئ وسيئ فلا أستطيع منع نفسي من رفع صوتي ضد هذا المنهج الظالم.

إنه لأمر تافه ترفضه الحقائق العقلية والتاريخية إضافة إلى أنه لا تستسيغه المشاعر الدينية وهو يتنافى مع قدسية النبي ﷺ التي لا يتردد كل مسلم ومؤمن حقيقي أن يضحى بحياته دونها. يقول حضرة مرزا بشير أحمد:

لا شك أنه في هذه الحقيقة التاريخية قد تزوج النبي ﷺ أكثر من زوجة، ولا شك في هذه الحقيقة التاريخية أيضا أنه تزوج بجميع زوجاته، ما عدا خديجة، في عمر يعدّ من الشيخوخة، وعليه فإن الظنّ، بدون أية شهادة تاريخية صريحة وواضحة، بأنه ﷺ تزوج بزوجاته كلهن بدافع أهوائه الجسدية، لهُو بعيد كل البعد ولا يقبله مؤرخ محايد بل يستبعده طبع أي إنسان شريف ونبيل. لم يكن خافيا على وليام ميور أن النبي ﷺ تزوج في الخامس والعشرين من عمره من أرملة في الأربعين من عمرها، وأحسن معاملتها بكل إحسان ووفاء إلى أن بلغ الخمسين من عمره، وبعدها أيضا لم يتخذ إلى الخامسة والخمسين من عمره إلا زوجة واحدة أخرى وهي أيضا كانت أرملة في سن الكهولة، أي السيدة سودة، ولم يخطر بباله خلال هذه المدة وفي ذلك السن، التي تُعدّ سنًا تتميز بثورة الجذبات النفسية، أن يتزوج زواجًا آخر. ولم يكن وليام ميور جاهلا أيضا بتلك الواقعة التاريخية أنه حين انزعج أهل مكة من مساعيه التبليغية واعتبروه ﷺ محرّب دينهم القومي فقد أوفدوا إليه عتبة بن ربيعة والتمسوا من النبي ﷺ بالراح شديد أن يكف عن مساعيه هذه، فطمّعوه في الثروة والملك، كما عرضوا عليه عرضًا آخر وهو أنه إذا أراد أن يتزوج من أحسن نساء العرب فليختر امرأة من

نساء العرب ليزوجوه بها، على ألا يقبّح دينهم ولا يبشر بدينه الجديد. ولم يكن سنّه في ذلك الوقت كبيراً، وكانت قوته البدنية أفضل بكثير من الزمن اللاحق، ولكن الرد الذي رد به النبي ﷺ على مندوب رؤساء مكة هو أيضا صفحة مفتوحة من التاريخ ولا حاجة إلى تكراره؛ كما أن وليام ميور لم يكن غافلا عن الواقعة التاريخية التي تُبرز أن أهل مكة كانوا يعتبرون النبي ﷺ قبل البعثة، أي إلى الأربعين من عمره، أفضلهم أخلاقاً. ولكن رغم كل هذه الشهادات إذا تكلم وليام ميور عنه ﷺ أنه حين بلغ الخامسة والخمسين من عمره حين أخذت قواه البدنية تضعف طبعاً، وحين تضاعفت مهماته ومسؤولياته إلى درجة أن أصبحت أكثر وأزيد من أي شخص مشغول في العالم؛ فإنه ﷺ في هذه السن مال إلى التمتع بالملذات الدنيوية!!! لا شك أن مثل هذا البيان يعد مليئاً بالتعصب والعداء.

يمكن للمرء أن يقول ما يشاء ولا يسع الناس منع لسانه وقلمه من ذلك، ولكن ينبغي للعقل ألا يقول كلاماً يرفضه العقل السليم ولا يمكن بحال أن يقبله. لو أزال السيد ميور ومن كان على رأيه غشاوة التعصب من على أعينهم لعلموا أن النبي ﷺ قد تزوج كل هذه الزيجات في سن الشيخوخة، وهذا دليل كاف على أنها لم تكن لإشباع الرغبات النفسية بل كان وراءها أهداف أخرى، ولا سيما إذا رأينا أن هناك حقيقة أخرى ثابتة تاريخياً تؤكد أن النبي ﷺ قضى فترة شبابه بسيرة نال بها بين الأصدقاء والأعداء على حد سواء لقب "الأمين".

يقول مرزا بشير أحمد: كل من يقرأ هذه الحقيقة ويعرف التاريخ يقول معبراً عن مشاعره أنه يتمتع بسرور روحاني لما يقرأ أن النبي ﷺ تزوج كل هذه الزيجات في عمر كان كاهله مثقلاً فيه أكثر من أي وقت مضى بمهام النبوة ومسؤولياتها، وكان ﷺ يتفانى في أداء هذه المسؤوليات الجسيمة التي لا حصر لها، إن هذا المنظر يشكل دليلاً قوياً لكل إنسان نبيل وشريف على أن هذه الزيجات كان جزءاً من مسؤولياته النبوية، ولم يُقدم عليها النبي ﷺ إلا لتحقيق أهداف التبليغ والتربية.

السيئُ يخبث نيته يبحث عن الأمور السيئة في الآخرين، وبسبب حالته القذرة لا يستطيع أن يفهم في أحيان كثيرة نية الآخرين الصالحة وراء أعمالهم، ولكن يعلم النبيل هذا الأمر جيداً ويفهم أن المرء السيئ يمكنه أن يفعل فعلاً من الأفعال بنية سيئة في حين أن الصالح يمكنه أن يقوم بالفعل نفسه بنية صالحة.

ثم ينبغي أن يكون واضحًا أن الإسلام لم يذكر أن الغرض من الزواج اجتماع الرجل والمرأة لإشباع الأهواء النفسية فقط، بل لا شك أنه شرع النكاح لاجتماع المرأة والرجل لبقاء النسل الإنساني ولكن هناك أغراض نبيلة وطاهرة أخرى كامنة فيه. فإن البحث عن أسباب زيجات إنسان كانت كل حركة وسكنة من حياته دليلاً على إنكار الذات والطهارة والعفة، ثم إن التفكير في هذا الأمر مثل أقذار الناس والميل إلى الأفكار القذرة والسيئة لن يضر بذلك الإنسان الطاهر شيئاً غير أنه يعكس بجلاء ما يستبطنه هذا الرائي.

يقول مرزا بشير أحمد: لا أستطيع أن أقول ردًا على هذا الاعتراض أكثر من: والله المستعان على ما تصفون!

لقد ذكر الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام في إحدى خطب النكاح نقطة تتعلق بنكاح النبي ﷺ زينب والزواج بها، وأقرأها عليكم، يقول حضرته: لقد زوج النبي ﷺ بنت عمته من زيد، ولا نستطيع القول بأنه لم يستخر الله تعالى، ولم يدع الله تعالى ولم يتوكل عليه، بل لا شك أن النبي ﷺ حتماً قد فعل كل هذا، فلا بد أنه ﷺ قد استخار الله ودعا الله تعالى، مع كل ذلك لم يثمر الله تعالى جهوده. فالسبب الرئيس وراء ذلك هو أن الله تعالى يريد أن يظهر على الناس بأنه ليس للنبي ﷺ أولاد ذكور سواء كانوا أولادًا وفق قانون القدرة الإلهية أو كانوا بحسب العرف السائد آنذاك أي بالتبني؛ لأن مثل هذا الولد يعدّ ولداً للمرء بحسب العرف السائد. لم يكن للنبي ﷺ أولاد ذكور بحسب القانون الإلهي إلا أنه كان له ولد ذكر، أي زيد، بحسب قانون البلد ووفق قانون الشريعة السائدة آنذاك، وكان الناس يسمونه ابن محمد. ومن خلال زواج زينب من النبي ﷺ أخبر الله تعالى بأن الأولاد الحقيقيين للإنسان هم الذين يولدون له وفق قانون القدرة الإلهية، أي إنهم أولاده من صلبه، أما الأولاد بحسب قانون البلد فليسوا أولادًا حقيقيين، وعليه فإن الأولاد بالتبني ليسوا أولادًا حقيقيين للإنسان ولا تنطبق عليهم قوانين الشريعة المتعلقة بالأولاد الحقيقيين. وكان السبيل الوحيد لإقامة هذا الأمر وترسيخه أن يتزوج النبي ﷺ من مطلقّة زيد. فلم يحج الله تعالى الفرقة بين زيد وزوجته. لو شاء الله تعالى لزال الجفاء بينهما. فعلى الرغم من أن النبي ﷺ قد استخار الله تعالى ولا بد أنه دعا كثيراً وتوكل على الله وبذل سعيًا كثيرًا مع كل ذلك اقتضت

الحكمة الإلهية أن يطلق زيد زوجته ثم يتزوج منها النبي ﷺ وذلك ليثبت أن الأولاد بحسب قانون البلد ليسوا كأولاد يولدون بحسب القانون الإلهي.

كانت هذه أيضا نقطة لطيفة ذكرها الخليفة الثاني من بين الحكم الكامنة وراء هذا الزواج. كتب مرزا بشير أحمد في كتابه "سيرة خاتم النبيين ﷺ" عن تعامل النبي ﷺ مع العبيد المحررين كما يلي:

كان دأب النبي ﷺ من أجل إصلاح أفكار الناس القديمة الفاسدة أنه كان يهتم أكثر من الناس العاديين بمن كان يتمتع بكفاءة ما من العبيد ومن بعض المحررين منهم، فقد أمر عبده المحرر زيد بن الحارثة وابنه أسامه بن زيد في بعثات كثيرة، وجعل بعض كبار صحابته تحت إمارتهما، فلما طعن في ذلك بعض الناس بناء على أفكارهم القديمة قال النبي ﷺ: "إِنْ تَطَعْنَا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاهُ اللَّهُ إِنْ كَانَ لَحَلِيفًا لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ" (صحيح البخاري, كتاب المغازي)

لقد خضعت أعناق الصحابة أمام هذا الأمر النبوي الذي كان يحمل روح مساواة الإسلام الحقيقية، واستوعبوا جيدا أن كون الإنسان عبداً أو ابن عبد أو انتماءه الظاهري إلى طبقة المنبوذين لا يحول دون رقيه، والمحك الحقيقي لاختبار الناس هو التقوى والكفاءة الذاتية. وما أدل على ذلك من أن النبي ﷺ زوج بنت عمته زينب بنت جحش من زيد بن حارثة، والعجيب أنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر اسم أي صحابي سوى زيد بن حارثة فقط.

كتب مرزا بشير أحمد مزيداً حول تحرير العبيد على الطريق الإسلامي فيقول: نرى من بين الذين أعتقوا على الطريقة الإسلامية عدداً كبيراً أحرزوا رقياً عظيماً في جميع الميادين، ونالوا شرف كونهم قادة المسلمين في مختلف مجالات الحياة. كان زيد بن حارثة من العبيد، وكان من الصحابة الذين أعتقوا إلا أنه أحرز كفاءة عالية في نفسه بحيث أمره النبي ﷺ في بعض مهماته الإسلامية أي عينه أمير العسكر كله وجعل كبار صحابته تحت إمرته، حتى إنه جعل تحت إمرته القادة الناجحين مثل خالد بن الوليد.

لقد حضر زيد مع النبي ﷺ غزوة بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر، وكان يعدّ من الرماة المهرة للنبي ﷺ. فلما أراد النبي ﷺ الخروج لغزوة المريسيع، وهو اسم ثان لغزوة بني المصطلق ووقعت بحسب السيرة الحلبية في شعبان من سنة 5 للهجرة، أمر زيداً على المدينة.

عن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وخرجت فيما يُبعث من البعوث تسع سرايا (وهي تلك البعثات التي لم يشارك فيها النبي ﷺ)، وأمر فيها النبي ﷺ علينا أسامة بن زيد.

وعن عائشة قالت: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي حيا بعد الرسول ﷺ لاستخلفه أي لأمره أيضا.

يكتب مرزا بشير أحمد في كتابه سيرة خاتم النبيين عن غزوة سفوان التي يطلق عليها اسم غزوة بدر الأولى أيضا والتي حدثت في جمادى الآخرة عام 2 للهجرة فيقول:

ولم يُقَم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة الذي كان على بعد ثلاثة أميال فأخذ معه إبل المسلمين وفرّ. فلما علم النبي ﷺ خرج في طلبه مع فئة من المهاجرين واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه، يطلق عليها اسم غزوة بدر الأولى كما تقدّم.

أما غزوة العشيرة فأخبركم عنها باختصار، إن النبي لما علم ﷺ بنوايا قريش الخبيثة خرج من المدينة حتى بلغ عند ساحل البحر مكاناً يسمى بالعشيرة، لم يلق النبي ﷺ حرباً مع قريش إلا أنه عقد هناك معاهدة السلام مع بني مدلج على بعض الشروط. وبعدها عاد إلى المدينة. كان اسم المكان الذي ذهب إليه "العشيرة"، لأنه ﷺ كان سمع أن الكفار يجتمعون هناك لتشكيل جيش فرأى ﷺ أن يقابلهم هناك، ولكن لم يحدث أي قتال إلا أنه عُقدت اتفاقية السلام مع إحدى القبائل نتيجة هذا السفر.

لأوضح هنا الفرق بين الغزوة والسرية، (في الأدب الأردني)، لأن البعض لا يعرفون ذلك، فالغزوة هي المهمة التي اشترك فيها النبي ﷺ بنفسه، والسرية أو البعثة هي المهمة التي لم يشترك فيها النبي ﷺ. وليس ضرورياً أن تكون الغزوة أو السرية من أجل القتال بالسيف فقط بل كل سفر قام به

النبي ﷺ في حالة الحرب هو يُسمى الغزوة وإن لم يكن ذلك السفر للحرب، ثم اضطر إلى الحرب، وكذلك السرية، لم تكن كل غزوة أو سرية من أجل القتال، وكما ذكرتُ في غزوة العشيرة أيضا لم يحدث أي قتال.

حين انتهت معركة بدر وبدأ النبي ﷺ سفره إلى المدينة أرسل زيد بن حارثة إلى المدينة لكي يبشّر أهلها بالنصر، فذهب زيدٌ قبل النبي ﷺ إلى المدينة وبشّرهم بالنصر، ففرح للغاية الصحابة الذين كانوا في المدينة بانتصار المسلمين العظيم، وفي الوقت نفسه شعروا ببعض الأسف لعدم اشتراكهم في هذا الجهاد العظيم وحُرموا من ثوابه، فهذه البشرية أزال الحزن الذي كان يشعر به أهل المدينة عموما وعثمان رضي الله عنه خصوصا بسبب وفاة رقية بنت الرسول ﷺ قبيل مجيء زيد بن حارثة. وكان النبي ﷺ قد تركها مريضة وخرج لمعركة بدر ولذلك لم يستطع عثمان رضي الله عنه أيضا أن يشهد معركة بدر.

كتب مرزا بشير أحمد رضي الله عنه عن سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه التي بُعث فيها إلى موضع "القردة" في جمادى الثاني ثلاثة للهجرة: حين وجد المسلمون نفسا من هجمات بني سليم وبني غطفان اضطروا إلى أن يخرجوا من أجل إزالة خطر آخر، كان أهل قريش يذهبون إلى الشام عن طريق الساحل عموما لتجارهم الشمالية ولكن الآن تركوا هذا الطريق لأن أهل قبائل هذه المنطقة كانوا قد أصبحوا حلفاء المسلمين ولم يعد لقريش فرصة ليقوموا بأي شرّ بل كانوا يرون هذا الطريق الساحلي خطيرا عليهم، لذا تركوا هذا الطريق واختاروا الطريق النجدي البالغ إلى العراق الذي كان عليه القبائل الحليفة لقريش وأعداء أشداء للمسلمين. أيّ كان في الطريق الأول قبائل متحالفة مع المسلمين وفي هذا الطريق كان القبائل الذين كانوا حلفاء قريش وكانوا أعداء أشداء للمسلمين مثل قبائل سليم وغطفان. فبلغ النبي ﷺ في جمادى الثاني أن قافلة تجارية لقريش تمر بالطريق النجدي، ومن البديهي أنه لو كان مرور قوافل قريش بطريق الساحل يشكل خطرا على المسلمين فكان مرورهم بالطريق النجدي أيضا خطيرا بل كان خطيرا أكثر لأن في هذا الطريق كان حلفاء قريش الذين كانوا يريدون قتل المسلمين مثل قريش، وكان من الممكن أن يجتمعوا مع قريش ويشنّوا هجوما سريّا على المدينة بكل سهولة أو يقوموا بنوع من الشرّ والفتنة، وكذلك كان ضروريا لإضعاف قريش وإجبارهم على الصلح أن تُوقّف قوافلهم على هذا الطريق أيضا، لذا بعد وصول هذا الخبر أرسل النبي ﷺ فورا

كتيبة من صحابته بقيادة زيد بن حارثة. كان في هذه القافلة التجارية رؤساء قريش مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية. لقد أدى زيدٌ واجبه بكل استعداد وذكاء، ولحق بأعداء الإسلام هؤلاء في القردة بنجد ففزعت عير قريش من هذا الهجوم المباغت فتركوا أموالهم وهربوا، وعاد زيد وأصحابه إلى المدينة ناجحين مع كثير من الغنائم. كتب بعض المؤرخين أن شخصا يُدعى "فرات" كان دليلَ عير قريش وكان قد أُسر على أيدي المسلمين وأُطلق سراحه لأنه أسلم. ولكن يتبين من بعض الروايات الأخرى أنه كان جاسوس المشركين ضد المسلمين ولكنه أسلم فيما بعد وهاجر إلى المدينة. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: عاد زيد بن حارثة من سرية وكان النبي ﷺ في بيتي، فطرق زيد الباب فاستقبله النبي ﷺ وعانقه وقبله. وبحسب بعض الروايات في شعبان السنة 5 للهجرة حين أراد النبي ﷺ الخروج إلى بني المصطلق ولَّى زيد بن حارثة على المدينة. وفي غزوة الخندق كانت راية المهاجرين في يد زيد بن حارثة ﷺ. لعل هذا الذكر يستمر أكثر.

والآن سأذكر خيرا محزنا. (سأل سيدنا أمير المؤمنين هنا: "هل الجنازة قد حضرت؟" ثم قال:) لقد تُوفيت السيدة مريم سلمان عُلى، التي هي ابنة السيد مبارك أحمد صديقي، في 17 حزيران/يونيو في الخامس وعشرين من عمرها. إنا لله وإنا إليه راجعون. عُلم بمرضها قبل أيام قليلة من وفاتها فأدخلت المستشفى حين ساءت حالها، ولكن غلب قدرُ الله تعالى ولم تُشف. قال جميع المعارف عن هذه الفتاة بأنها كانت دمنة الأخلاق جدا، وملتزمةً بالصلوات ومواسيةً وخادمةً لخلق الله، وكانت لها علاقة حب شديد مع الخلافة، وتركت المرحومة في ذوئها الوالدين والابنتين نايب وزرياب، عمر نايب خمسة أعوام وعمر زرياب سنة ونصف. كتب أحد الأشخاص: تلقتُ والدة مريم سلمان السيدة عُلى مبارك ثلاث صدمات مؤخرا إذ توفّي أخوها أولا ثم تُوفيت في الشهر الماضي أي في أيار/مايو أختها والآن تُوفيت ابنتها. ألهمها الله تعالى الصبر والسلوان.

كانت مريم سلمان سكرتيرة المبيعات الجديديات للجماعة في ايسم، كانت حسنة الأخلاق وبشوشة الوجه تساعد الفقراء بالتزام. كتبت رئيسة اللجنة في جماعتها: كانت السيدة مريم سلمان تخدم بصفقتها سكرتيرة المبيعات الجديديات بشكل جيد ومثالي، وكانت تنشئ علاقة الحب والوداد مع الأحمديات الجديديات مما دعا الأحمديات الجديديات إلى الارتباط بنظام الجماعة تلقائيا. قالت مبيعة جديدة تدعى السيدة فريدة نيلسن: أتذكر أنني حين ذهبتُ أول مرة للاجتماع في الجماعة

كنتُ أرى نفسي وحيدة ولكن ما إن رأيتي السيدة مريم ظهرت بسمة في وجهها فتقدمت إليّ بوجه طلق وعانقتني وجالستني طول الوقت، وبعد ذلك جاءت بهدية شوكولاتة إلى بيتي، وأخبرتني ببركات الجماعة والخلافة. كذلك قالت مبايعة جديدة أخرى تدعى السيدة عندليب: أرى أنه ينبغي أن تكون كل سكرتيرة للمبايعات الجديديات مثل السيدة مريم، أتذكر أنني حين التقيت بمريم أول مرة لقيتني بحب وحفاوة بحيث شعرتُ كأنني وجدتُ أختاً محبة، وكانت تأتي إلى بيتي بهدايا صغيرة لي ولأولادي. وكانت تتواصل معي دوماً عبر الهاتف واللقاءات. وكانت تخبر صديقاتها والناس ببركات الخلافة ونظام الجماعة أثناء كلامها. وكانت صديقة مثالية للمبايعات الجديديات، وكانت تساعدن حتى رغبتن حضور برامج الجماعة. وبسبب تربيتها أصبحت ابنتي سكرتيرة عامة لإمام الله في الجماعة المحلية، وكانت المرحومة توفر من مصروف جيبتها وتخدم خلق الله تعالى.

كتب والد المرحومة السيد مبارك صديقي: كانت تستمع لخطب الخليفة بالتزام، وتؤثر الدين على الدنيا في كل شيء. كان هناك مجلس الشورى للجماعة في بريطانيا قبل يومين من وفاتها وكانت مريم في العناية المشددة فقلتُ لها سأخذ الرخصة من مجلس الشورى ولكنها قالت: لا، لا تقلق عليّ ولا تترك برنامج الجماعة من أجلي، لأننا قد قطعنا عهداً مع المسيح الموعود عليه السلام بأننا سنقدم الدين على الدنيا. كانت المرحومة تكتب أناشيد باللغة الإنجليزية، وملخص إحدى أناشيدها:

حين تقومون بأي عمل حسن تواجهون مشاكل كثيرة،
ولعل الناس يشكّون في إخلاصكم،

فدعوا الناس يعملون عملهم واستمروا أنتم في عملكم الحسن.

كذلك كتبت أناشود بالأردية أيضاً حول الخلافة.

قالت ممرضة ألمانية تعمل في مستشفى سانت جورج بلندن التي كانت المرحومة تتعالج فيها: "كنتُ أشعر بالحديث مع مريم كأنني ألقى ملاكاً." في أيام الحر الشديد كانت تضع في برّادها قناني الماء، ثم في أيام العطلة كانت تضعها مع بعض الأشياء الأخرى مثل شوكولاتا وغيرها على طاولة في الخارج وتكتب عليها هذا كله بالمجان، وكانت تجلس عند الطاولة مع بناتها، وكان كثير من الإنكليز يتوقفون عندها ويأخذون منها ما يريدون. كتبت إحدى النساء الإنكليزيات: سألتُ مريم كيف خطر ذلك ببالك؟ فقالت: هناك عطلة أسبوعية في المدارس، فأردتُ أن أضع الطاولة نهاية كل

أسبوع من أجل إدخال المسرّة على قلوب الأولاد، فقالت هذه الإنجليزية: أذهب بأولادي إلى أماكن بعيدة ببذل آلاف الجنيهات من أجل الراحة والمتعة ولكنني لا أجد الطمأنينة والسعادة، ولم أكن أعلم بأن الإنسان يستطيع أن يحصل على السعادة الحقيقية بهذه الطريقة جالسا في بيته أيضا من خلال خدمة الناس.

كانت المرحومة تتسابق دوما في تحية السلام. وإذا لم تتحدث مع بعض المعارف أو جارات الحارة كانت ترسل إليهم رسائل وتسألهم عن حالهم. وكانت من مزاياها أنها تتحدث مع الناس في الأمور الجيدة دوما، وكانت تشجّع الأمور الجيدة. وكانت تبتسم كل حين، وتتوكل على الله جدا، وتشكره على نعمه. رحمها الله تعالى وغفر لها، ندعو الله تعالى أن يعاملها بلطف أكثر مما كانت تأمل من ربحها، وأن يغمرها بحبه ويرفع درجاتها ويحفظ بناتها ويتقبل جميع أدعيتها التي دعت بها في حق بناتها، ويُلهم والديها الصبر والسلوان ويوفقهما ليرضيا برضى الله تعالى بانسراح الصدر ويُرِيّا بنات المرحومة تربية مثالية ويعيناهما، ويوفّق زوج المرحومة ليعطي البنات حب الأب والأم معًا. رفع الله درجات المرحومة. (آمين)

سأصلي على المرحومة بعد صلاة الجمعة والجميع يشاركونني، سأخرج للصلاة عليها وأنتم تبكون في الداخل.
